وترحيلنا، ولكنهم فوجئوا بوجود ما يزيد على ٧٠ الف فلسطيني بعد اتفاقية الهدنة. وشكل هذا الوجود مأزقاً لهم، لانهم لم يتصوروا ان يقيموا دولتهم وفيها فلسطينيون. لذلك لم يمتلكوا، في البداية، سياسة موحدة مسبقة لمواجهة احتمال من هذا النوع. كانوا، في البداية، في سباق مع الزمن، للتخلص من الفلسطينيين والحاقهم باخوانهم في المنفى. وترك امر تنفيذ ذلك، للحكام العسكريين، ولكنهم فشلوا في تحقيق هدفهم. فكل الجرائم التي ارتكبت ضدنا لم تجد نفعاً، ولم يرحل احد طوعاً او بملء اختياره. عندئذٍ، اضطرت السلطة الى تغيير شكل سياستها نحونا دون التخلي عن الهدف الاستراتيجي باقامة الدولة اليهودية النقية. لكن طرد الفلسطينيين امر يقتضي توفر الظروف المناسبة لتحقيقه. وعلى هذا الصعيد، برزت، بعد العام ١٩٥٧، ممارسات عدة تقود الى الهدف الاستراتيجي. منها محاولة ضرب انتماء شعبنا القومي، وجعلنا اقلية معزولة مفككة الاوصال والروابط، وتفتيتنا الى عائلات وعشائر وطوائف، ومنعنا من تأسيس حركتنا الوطنية على المستوى القطري، وغير ذلك من اساليب الضبط والسيطرة والتفتيت.

ولمواجهة هذه الهجمة، وفي ظل وجود اطار وطني للدفاع عن اهدافنا ووجودنا وانتمائنا القومي، كانت هناك حاجة ماسة الى قيام حركة فلسطينية لديها الاستعداد للتضحيات من اجل اهدافها. من هنا، كانت حركة الارض استجابة لمطلب تاريخي، في مرحلة مررنا بها.

ان التطور الفكري الذي حصل داخل الحركة يكمن في اننا لم نتبن الفكر القومي، نتيجة دراسات نظرية، وانما الواقع وتحدياته فرضت علينا ان نتبن هذا الفكر. اننا قررنا جميع خطواتنا من خلال تجربتنا العملية وانطلاقاً من حاجتنا. اننا نناضل ضمن الجماهير ومن اجلها، وليست لدينا امكانات اخرى. واذا اردنا تجنيد الجماهير، علينا ان نربط المصلحة الفردية بالمصلحة العامة. فالجماهير لا يمكن تحريكها بالشعارات، وانما بالممارسة العملية. لذلك، لم نطرح شعارات قومية مبنية على العاطفة، وانما شعاراتنا كانت لها مضامين اجتماعية واقتصادية، وركزنا على العمال والفلاحين، وهم قوام شعبنا في الداخل. من هنا، فان تجربتنا القومية كانت منفتحة نحو التطور التقدمي، وجماهيرنا، بطبيعتها، تقدمية. قد لا تعرف جماهيرنا هذه الحقيقة، ولكن هذا هو الواقع، والسبب في ذلك يعود الى اننا، قومياً وطبقياً، مضطهدون، ونحن، بطبيعتنا، ضد الاضطهاد والقمع، فهذه هي مقدمات الفكر التقدمي بأبسط صورها.

البعض يصفنا بأننا متطرفون ومتعصبون قومياً؛ الحقيقة كنا، فعلاً، نتطرف في انتمائنا، وفي طرحنا، عن سبق اصرار، لان هناك هجمة شرسة ضدنا، كقومية، وكشعب. وتجاه هذه الهجمة، لا بد من اتخاذ موقف حاد، علماً بأننا، في حقيقة موقفنا، ضد التطرف، ولكن لا خيار لدينا سواه وسوى التوجه الى جماهيرنا وتحريكها، واستغلال اقصى ما يمكن ان يحرك الجماهير، واستخدام كل ادوات التعبئة. ان السلطات عندما اخرجتنا على القانون واعتبرتنا حركة محظورة، استندت الى اننا لا نعترف بدولة اسرائيل، ولم ترد كلمة اسرائيل، ولو لمرة واحدة، في دستورنا، وبأننا قد تحدثنا عن الفلسطينيين وايجاد حل لمشكلتهم، ولم نتحدث عن اليهود، واعتبروا ذلك تجاهلاً لوجود اسرائيل من طرفنا.

اننا عندما طرحنا تصورنا للحل، لم نتحدث عن حل لليهود، لانه ليس لديهم مشكلة؛ فنحن الضحية. من هنا، ركزنا على ضرورة موافقة الشعب الفلسطيني على اي حل، تأكيداً لاستقلالية ارادته. عندما طرحنا تصورنا للحل، لم نعط حلاً مفصلاً؛ فنحن لم نتمكن من ذلك لاعتبارات كثيرة، منها وجودنا في ظل دولة اسرائيلية. لا نستطيع ان نطرح حلاً تفصيلياً نناقش فيه مصير اليهود، فنحن لا نريد استفزازهم ضدنا، ونحن لم نثبت اقدامنا على الارض بعد. ولكن في الوقت عينه، فان لدينا تصورات لحل هذه المشكلة، بعضنا يوافق عليها، والبعض الآخر لا يوافق. وانا ساحتفظ، الآن، برأيي الشخصي بشأن هذا الموضوع لاعتبارات كثيرة. اما منصور كردوش، فقد عبر عن تصوره للحل في مقابلة اجرتها معنا مجلة «ادغار» التابعة لحركة العمل السامي. ففي هذه المقابلة، اقترح كردوش حلاً يقوم على ان فلسطين تعتبر جزءاً من المنطقة ككل، ولا بد من قيام اتحاد فيديرالي في المنطقة. وفي امكان اليهود ان يعيشوا في المنطقة وليس شرطاً ان يكونوا مركزين في فلسطين. انهم يستطيعون العيش حيثما ارادوا،